مجموعة قصصية

نُـباح وهمسات

زين العابدين محمد الشريف

الغلاف بريشة الفنان: إياد الموسوي

إهــداء..

إلى من حطـّم بسيف الصدق والجد، أوثان الفوضى. التواكل. الصدفة.
واللون الرمادي..

إلى فارس الكلمة.. مارد الصحافة العربية..

إلى من علـّمني حرفاً، وحباً. وحفر في وجداني عشقه..

إلى المفكر العربي.. الرمز والقدوة..

إلى الأب.. الانسان والمعلم..

إلى من تلهث، دونه العلياءُ..

إلى حضرة الوالد الاستاذ/ محمود الشريف الموقر
أهدي هذا الجهد المتواضع

زين العابدين الشريف

مساحة مخنوقة..

ألقى الضيوف بأجسادهم إلى مقاعد الصالون. . بعد مبالغة الأم في الترحيب بهم. وقد علمت مسبقا سبب الزيارة. .

دلفتْ إلى غرفة ابنتها عبير، تدفعها للتقدم بصينية القهوة، ليتفرسها الضيوف. .

كانت عبير تمقت الزيارة. . بل أنها ودّت ألا تحدث بالمرة. . فقد ترآى لها ذلك الشاب، الذي تبعها منذ أشهر، يلقي على مسامعها، عبارات الاعجاب. . بلكمات. . أشبه بكلمات ممزقة، خاوية. . خلت من ذوق. . ورجولة. .

لم تعره انتباها. . وهي التي خبرته، كابن للجيران، يسكن جوارهم، منذ الازل المظلم. .

فقد رسمت بخيالها الغض. . أحلاما وردية، لشاب وسيم. . يحتضن في صدره مساحة خضراء، لوقود الحياة وعشقها. . يقف على شواطئها، بزورق الرجولة، وفي يديه أشرعة الانوثة. . يقدرها قدّرها. . يبحر بها بعيدا. . صوب شاطىء دفء. . كان يراود احلامها. .

شعرت بالخريف الزاحف نحوها. . علقت يدها بالبشاعة،

وهي تبحث عن ملاذ . . !

حملت كفنها بين يديها، تعلوه ثلاثة فنجانين قهوة . . اتجهت صوب الصالون . .

كيف تغير المكان إلى مقبرة . . البشر إلى اشباح؟ ما تلك الشواخص المبعثرة في جنباته . . ؟

تساءلت بأحزان زوار القبور . . وصمت ساكنيها . . هل من صدى يُسمع . . غير البكاء والأنين؟ هل من طعم يغتصب الحلق . . سوى المرارة؟

كيف أبتسم ـ كما أوصتني أمي ـ للقبور الثلاثة . . العريس وأمه وشقيقته . .

لكزتها أمها . . قدّمي القهوة للضيوف .

بحثت في ثناياها عن معاني لما يدور . . فلم تجد . . ولم تفهم؟

شعرت أنها شقيقة لتلك الفناجين التي تقدم أو تمنع . مخنوقة الرأي . . مملوءة بالسواد!!

احتسى الضيوف مع القهوة، كل ما وقعت عليه عيونهم، من مفاتنها . ابتلعوا في عيونهم، سحر عيونها . .

اعتصرت قلبها حزنا . . بحلقت في زواياها المتناثرة . . صاحت بصمت مدو . . الموت يبدأ بزيارة المقابر، حين يقاد الميت مسلوب الارادة .

وبينما تعثرت في دروب مملة موحشة . . استغرق الضيوف

يعجبون ببراءة روحها. . انتشوا بعبيرها، الذي بَرِحها، ليلف المكان حولهم. ويتركها. . عبيراً بلا عبير. .

في المساء. . تناهى إلى أبيها، صوت نشيجها المخنوق، في غرفتها المجاورة.

اقتحم عليها صحرائها. . عبثت يداه بمفتاح الكهرباء. . أبصرها راقدة في ظلامها، تسح دموعاً. . ملء أحلامها. .

عبارة واحدة، خالتها عبير، ستعبر بها إعصار الهزيمة. .

أبي. . اختي الكبرى، أحق مني بالزواج. .

اخترقت كلماتها مسامعه. . لكنه لم يسمعها!

قال لها. . وقد أطفأ انوارها، وتأهب للذهاب. . أعطيت لهم كلمة. . غدا نقرأ الفاتحة!

دفنت رأسها في الوسادة المبللة. . هالت عليه حفنة من السواد. . راحت تبحث عن أشلاء صحراءها. . لملمتها. . وتجرعتها. . حتى الاحتضار.

في صحراء المساء التالي، توافد المعزون. يتقدمهم الملقن. . . . وقرأوا الفاتحة !!

إنبعثت مع الفجر، عند خيوطه الأولى. . كما اعتادت منذ الأزل. . لكنه ما لبث ان لملم خيوطه، وتركها تبحث عن روحها المتناثرة حولها، تلملمها. . تدسها في جسدها. . وتعيد ترتيبها. . فتقبل عليها الحياة من جديد. .

نهضت بتجاعيد موغرة. . لجسد هزيل، تعلوه بقايا خصلات لشعر قمري. . تجرجر قدمين متثاقلتين، تزرعهما. في بعض جنبات البيت العتيق، وهو يبحر معها، نحو الموجة الثامنة، في لجة حياتها. .

اتخذت ركنا قصيا. . أدت فيه صلوات، لتزيل عنها بعض أذى الدنيا، التي التبستها. وتشبثت بأهدابها. . دعت الله أن يسخّرها لها. . وأن يكون أنيسها!

إتجهت بخطى وئيدة صوب المطبخ. . ابتلعت مع كوب الماء بعض الأقراص. . أحضرت لقيمات. . وضعتها على الطاولة. . وراحت تزدردها بنهم متسارع. . في صمت جندي متحفز في خندق القتال. .

جلست قبالة الهاتف، تسترضيه أن يرقص بأنغامه. .

لم يفعل.. فلا طاقة لأحد، على الثرثرة في تلك الساعة الباكرة.. اللهم اذا كانت احاديث، تحمل أخباراً عن الموت.. والكوارث.. ومع ذلك كانت تهفو لرنينه..!!

ازاحت بقايا عيونها.. تبحث عن ملاذ.. خلف لوحة عتيقة، معلقة على جدار أملس.. «الوقت كالسيف»..

تهادى عنقها.. القى مرساه.. حول الذكريات المشنوقة على نفس الجدار..

رحل زوجاها.. الاول والثاني، وبعض الابناء. لم يبق إلا واحدا.. يرعاها قدر استطاعته:

قرأت في بعض شواطىء الذكريات، أمواجا، ركبتها.. عبرت بها دوامات حياتها.. مطلقة.. أرملة.. زوجة ثانية.. ثكلى.. وها هي تنكسر على صفحتها، أرملة من جديد.. بعدما فقدت أشرعتها.. وعادت تطفو إلى الصمت، الذي اصبح توأمها، وعدوها اللدود!

حدّقت في الساعة المعلقة في ركن غير بعيد، خلف خيوط العنكبوت. غبطت عقاربها المتعانقة بانسجام، وهي تقبض على الكون، تديره معها، كيفما تشاء..

ترآى لها ابنها..

ودّت لو حطمت زجاجها، ورقدت بجوار عقاربها.. تديرها بيديها. حسبما تهوى.. تدفعها للتسرع بالزمن.. تقهره..

وهي تنتظر ذاك الابن، الذي انقلب ترساً، يدور مع تروس اخرى، في عجلة مجنونة، لتأمين لقمة العيش. لها ولاحفادها.. ابناء هذا الزمن المتسارع، وهم يلهثون خلف البيتزا، والفضائيات.. محاولا العثور على مكان، في المساحة المخنوقة، بين رتابتها.. وقطارها، الذي يمضي بجنون، صوب المجهول!

رمقت الهاتف بازدراء، ناولته بعض رذاذ ريقها الجاف.. حملت سيفها.. ركلت الباب بقدميها، وقد عنّ لها تحطيمه.. زحفت نحو جارتها، لارتشاف بعض الاحاديث، والتهام أخبار شتى عن الجيران!

عند الظهيرة، حملها ابنها لتناول الغداء مع اسرته..

ظلت عيناه معلقتان، بالقطار الذي هبط منه.. حاول جهده، أن يخلع من ذاكرته، العربة الاولى، التي تحمل هواجسه المتزاحمه، لمشاكل الاولاد، والعمل..

راح يلاطفها، ويسري عنها.. يعوّضها شيئا عن وحدتها.. فيما انتشر اولاده في ممرات القطار، يعبثون في المقابض، والازرار المختلفة، محدثين جلبة.. لم يكن يحتملها وأمه!

قبيل حلول الليل، طلبت اليه أن يعيدها إلى خندقها.. وصمتها، الذي ينتظرها!

جلست قبالة الهاتف، تتوسل اليه، لإهدار ما بقي من الوقت.. فيما دارت عيناها في رأسها، تبحث عن حيلة جديدة،

وضربة قوية.. لذاك السيف!

عمدت إلى التلفاز.. عن تبحث سبيل لإتلافه.. عبثت بمفاتيحه كيفما اتفق. حتى اذا تلاشت الصور، وامتزجت الخطوط والقنوات، اسرعت مبتهجة إلى الهاتف.. طلبت من أحد الأحفاد أن يأتي لاصلاحه.. ليمكث عندها بعض الوقت. ينصت لشكواها من كل شيء.. ضجيج الصمت.. مجون الشمس والجيران. حتى القمر.. كانت تسبه.. تتهمه بالتكاسل والبلادة!

كثيرا ما يشعر الحفيد بالضجر، حين ينزل من القطار السريع، ويتجه صوبها.. كانت تفرح بقدومه فرحاً عظيماً، حتى اذا انتهى من اصلاحه، انصت لشكواها.. ابتلع كآبتها.. ولحق بالقطار!

سؤال..؟

لكزته زوجته توقظه، حين صاحبت صرخاته المبتورة. . المبعثرة، حركات عشوائية لذراعيه وكفيه. .

لم يقو على النهوض من فراشه. فتح عينيه، اطلق يده متباطئة يتحسس جسده الغارق في لجة عرقه.

سألته زوجته، وهي تبحث عن بقايا ثيابها. . أهو كابوس. .؟

اومأ بعينيه، لكنه لا يقوى على الحراك. .

قال لها بصوت خافت. . ياله من كابوس مريع. . لم يكن يفصلني عن الموت سوى لحظات؟

قفز الى عقله شبح لكابوس آخر، دارت أحداثه الثقيلة في الليلة ذاتها، حين فاجأته ابنته الوحيدة بعد منتصف الليل لتشهده، دون ثياب مع الخادمة، التي افتعلت النوم، . . دفنت رأسها في الوسادة الملقاة على الارض. .

ارتبك. . راح يستر جسده كيفما اتفق. .

أمسك إبنته من يدها. قادها بهدوء الى غرفتها المجاورة. ساعدها على تمديد جسدها النحيف على السرير. . مكث الى

جوارها لحظات، ابحرت بعدها في نوم عميق..

دعته زوجته الى تناول الافطار، الذي انتهت الخادمة من إعداده.. فيما اجتاحته هواجس سوداء لم يعرف منها فكاكا.. انطلق عقله يبحث عن اجابات لسؤال ابنته، عما رأته. حينما تلقاه بعد قليل، فلا بد ان المشهد علق في ذاكرتها..

نهض متثاقلا يقوده كابوس اليقظة، الى كآبة لا يعلم نهايتها؟

منع زامور الحافلة المدرسية ابنته، من تناول الافطار معهما..

قالت له وهي تسرع الى الشارع.. حين عودتي من المدرسة أريدك ان تجيبني على سؤال يدور في رأسي منذ الامس.. قبلتها.. وانطلقت..

دارت اركان الغرفة في عينيه وهو يدور معها.. لا يدري كيف ينتقي ثيابه استعدادا للذهاب الى العمل..

في الطريق المزدحم بالمارة والسيارات.. إزدحمت في رأسه اجابات غير شافية عن سؤال ابنته الذي بات يحاصره.. يطوّق عقله وكيانه..

تساءل.. ماذا اقول لها..؟

سأقول.. أنني هرعت للخادمة، حينما سمعت صرخاتها بوجود فأر في غرفتها.. حاولت قتله. لكنه نجح في الهروب..

لكن.. كيف ابرر لها منظر جسدين.. يعلو أحدهما الآخر..؟

سأقول.. أنني وقعت. حينما تعقبته بعصا طويلة.. لم انتبه لوجود الخادمة.. حينما وقعتُ عليها!

لكنها ذكية.. قد تسأل.. عن سبب تجرد الانسان من ثيابه عند اصطياد الفئران..؟ أو تصف المنظر كما رأته..

ياله من موقف سخيف..

لا استطيع توبيخها بضرورة الاستئذان.. فهي خادمتها.. تلجأ لها دون استئذان.. في الوقت الذي تريد!

تصارعت في رأسه الاجابات، التي لم يكن يقتنع بها..

فكر باختلاق اعذار، تمنعه العودة الى البيت!

لكن هيهات.. فقد تروي ابنته ما حدث لأمها.. دون تدخله.. وقد تعترف الخادمة..!

وجد من نفسه ترحيبا، وهو يغير طريقه، الى مدرسة ابنته.. ليعرف ما يدور بخلدها!

لم يصل..

داهمته سيارة في الطريق العام صرعته.. فيما كان يعتصر فكره.. وأعصابه!

في المساء.. بعد انفضاض المعزين.. كانت الام تحتضن ابنتها.. تمسح دموعها.. وهي تربت على كتفيها..

قالت لها بصوت يكسوه الحنان.. كان ينتظر سؤالك حين تعودين من المدرسة.. هيا اطرحيه فربما اجابتك روحه التي تحلق

حولنا..

قالت بكلمات متقطعة، خرجت من ثغرها الغض، المغطى بالدموع.. كنت أود سؤاله.. هل للملائكة أجنحة؟

ليلة زفاف..

انتشر بصرها حائراً، لم يرتد إليها، وهي تبحث عنه في القاعة التي امتلأت بعيون، إبتلعتها مع عريسها الوسيم..

تناثرت موسيقى متباطئة..

طلب اليها ان تبادله الرقص في ليلة العمر...

أشاحت عن ثوبها الفضي..

على ضوء الشموع.. قبضا معاً على الخصر والكتف.. التصق الصدران.. ألقت رأسها على كتفه.. راح يدور معها. بتكاسل. وتدور معها عيناها بنهم.. تفتش عنه في كل الاركان..

قفز قلبها من مكانه، حينما وقع بصرها عليه، خلف شمعة مضيئة.. بين المدعوين..

دفنته في جفنيها.. تباطأت خطواتها..

أسلمت جسدها المتمايل لعريسها.. وإنسلت مع ذاتها الى مساحة حالمة، في زمن بعيد.. حين كان يضع لها ذات الشمعة.. خلف النافذة الزجاجية.. فتضيء.. ويذوب جسدها.. وتبقى الشمعة صامدة. للقاء آخر.. ليعلمها أبجديات القبلة..

ولتحفظ معه قواميس الهمس..

تذكرت كيف كان يطلق يده مرات ومرات.. كانت تحبسه عند الخط الأحمر!!

تدفقت مشاعر الحضور، وهم يلمحونها مرسلة الجفون على كتفيه..

حينها أكملت معه دورة راقصة.. فتحت عينيها.. أبصرته ثانية الى جوار زوجته، وقد القى ظهره الى ظهر المقعد..

لم يكن أحدٌ في أحضانه، كما فعل ليلة امس، حين ودّعها..

لا زالت همساته تطغى على الموسيقى..

ـ أحبك..

ـ سأكون غداً لغيرك..

على ضوء الشموع.. أمتدت يده ـ هذه المرة ـ الى رابطة عنقه..

إنتزعها..

أشعل سجائره..

إنتفض واقفاً..

التقت عيونها على كتفيه!

لم يأبه لزوجته.. أسرع الخطى مبتعداً.

أطلقت رأسها من كتفيه..

انطلقت الزغاريد.. امتزجت بتصفيق الموسيقى، وصدح

الأيادي!!

همست دون أن يسمعها.. سأجتاز معه الخط الاحمر.. وأعود اليك!!

أمل..

فوجئت به في منزلي، قبل الرابعة عصرا.. لم أكن أعلم قدومه من السفر.. ولم يكن ثمة موعد أو اتصال؟

كنت اتأهب لاصطحاب جارتي وصديقتي، لتمرين المشي، الذي اعتدناه لسنوات ليست قليلة.. يومان في الاسبوع.. لمدة ساعة.. فهي الرياضة الوحيدة التي بقيت لمثيلاتنا.. صاحبات الستين..

لم يكن بالبيت سواي، والخادمة، وحفيدتي الصغيرة.. ولم يكن لدي وقت للجلوس معه..

لاحت لي زيارته الأخيرة.. منذ سنتين.. أذكرها تماما.. حينها علمت بوجوده في بلدتي.. فهو يزورها يومين.. أو ثلاثة ايام على الاكثر.. في صيف كل عام.. أو عامين..

يومها.. اجتاحتني فرحة عظيمة، دغدغت نشوتها كياني.. فقد اشتقت له كثيرا.. وإلى هيئته المحببة، وتلهفتُ لسماع أخباره، وحديثه الساحر.. الذي ينساب من ثغره، كشلال متدفق.. بتلقائية.. بعيدة عن التكلف..

دعوته عبر الهاتف.. لوليمة غداء... وتمنيت أن ابالغ في

الاحتفاء به.. فدعوت بناتي وأزواجهن، وأولادي وزوجاتهم، وبعض المقربين.. فمحبتي ليس لها حدود.. وشوقي يتجدد، ولهفتي أشبه بأمنيات تتناسل من بعضها.. ولا تنتهي..

استقبلتهُ بلهفة وشوق كبيرين.. وسرت في أوصالي نشوةَ جارفة.. أحسست بحنان متدفق، أضفى على اللقاء حبوراً لا يوصف، وعبقاً.. سكنت رائحته في الذاكرة..

تدفق المدعوون.. وانتشرت في أركان القلب الكبير، جلسات حب ثنائية وثلاثية..

أضفت الموسيقى الحالمة على المكان، سعادة غامرة..

طلبت من الضيوف التقدم لتناول الطعام الموضوع على طاولة طويلة.. وقد اختلطت روائحه الزكية، بالابخرة المتصاعدة من بعض الصواني والأطباق الكثيرة، المرصوصة بعناية فائقة.. تحوي أصنافا شتى من الطعام.. تجاورها طاولة اخرى، علتها أطباق الحلوى.. والفاكهة والعصائر..

تحلق الضيوف.. يختارون ما يشتهون، يضعونه في أطباقهم.. ثم يجلسون في أركان مختلفة.. متآلفة.. لمواصلة الحديث والتهام الطعام.. ثم يعودون مرات اخرى لملء أطباقهم من جديد.. كلما فرغت..

يومها.. لم ينكر أحد سعادتي، وانا أتنقل بين الضيوف.. أحلق كفراشة.. أبتسم.. أهمس.. أربت على الاكتاف بحنان

جارف.. وحب عميق..

كثيرا ما حملتُ طبقاً لبعض الاصناف.. وخصصته به.. كيف لا.. والدعوة برمتها لاجله..

بعد الغداء.. تهادى الضيوف على مقاعدهم، في الصالون الكبير لاحتساء الشاي.. اتخذتُ مكانا ملاصقا لمكانه.. وقع نظري عليه مرات ومرات.. رأيته كالمرآة.. ورأيتني كعروس البحر.. تزفني أمواج عيونه، التي مابرحتني، بنظراتها الحانية. حدّقت فيمن حولي.. فلم أر غير ملائكة.. ولا أعلم كيف شعرت بحديثي يتحول إلى غناء.. وترانيم.. يسمعها الجميع.. عن الاشواق.. والغربة.. والحياة في الوطن..

يا له من زمن متسارع.. فقد طوت ذاك اللقاء.. سنتان!!

نظرت إلى ساعتي.. حان موعدي مع جارتي..

حدثته لدقيقتين، وقوفا.. طلبت من الخادمة أن تصنع له فنجان قهوة.. ثم ودعته..

حينما عدت بعد أكثر من ساعة.. وجدت الخادمة مشدوهة، امام التلفاز.. سألتها عن حفيدتي..؟

أخبرتني أنها تلهو في حديقة البيت..

فتاة النافذة ..

تسمّرت قدماي، في ركن من غرفتي.. اغتصبت حلقي غصة ثقيلة، تجرعتها في صمت حزين، حين دوى صوته الخشن، بين فضاءات نفسي، وشغاف مسامعي..

ضربت كلماته القاسية، جدران فؤادي. حين طلب من صديقي اخلاء الشقة التي نستأجرها، بعدما انتهى العام الدراسي وتأهبنا للعوده إلى القرية!

لم أقو على المشاركة في الحديث، بين صديقي وصاحب الشقة. ذاك الحديث، الذي انبعثت منه رائحة الموت، وأطلت من كآبته.. أوجاع الفراق!!

القيت جسدي المهزوم إلى مقعد خشبي متهالك، مشخصاً عينيّ صوب قلبي المعلق، ووجداني المصلوب. خلف نافذة الطابق الثالث.. أبحث عن ملاذ.. أتوسل إليها إلا ترحل، او تغيب!

انشغل صديقي بحزم أمتعته.. انسلت ذاكرتي تقودني الى بداية العام الدراسي. حين استأجرت معه، تلك الشقة المتواضعة القريبة من الجامعة.

منذ اليوم الأول.. أصابت سهامها شغاف قلبي.. مزقته..

حين لمحتها، تقف بكبرياء، خلف النافذة.. تغطي رأسها بقطعة بيضاء.

وإذ ذاك.. أدركت أنها لي.. زُرعت هناك لأجلي. فأنا فارسها، الذي جاء يخلصها من أسر النافذة.. بعدما وقعت في أسرها.. وجرفتني طيفها المحبب، الذي التبس يقظتي، ومناماتي.. ولم استطع منه فكاكا!

كانت تنبعث منها هالة أنوثة. منعتني اقتناص ملامحها الدقيقة..

لشهور طوال.. بت أرسم أوصافها بخيالي.. وجه ملائكي، يتوسطة أنف معقوف.. وعينان يسكنهما حزن ساحر، وقوام ناهض.. يعلوه تمرد، وتحمله سيقان ناعمة، اتصبب عرقاً، حين يعرج خلدي للمسها!

اعتصرتني الأيام!

اطبق الضياع على حياتي.. بعدما انتحر الوقت بسيفه. قتل معه الشهور الاولى، وأنا لا أعرف ما يدور في قاعات الدراسة..

بت اترقب سحابات الندم الآتيه، خلف أشباح الوقت المقتول.. تحمل نذير فشل..

ومع هذا.. كثيراً ماتوقفت عن التفكير بها.. لا لشيء.. سوى للتلويح لها.. مدركاً أن حياءها، يمنعها مبادلتي التلويح.. فأعود أفكر فيها من جديد..

التجأت لصاحبي، كغريق يبحث عن نجاة. .

همست في اذنه عن عذباتي. . توسلت اليه أن يمد يده. . ينقذني. . يدلني ماذا أفعل؟ كيف أتصرف. مع فتاتي التي احتلت سويداء قلبي. وهي تتعبد في محرابي، صباح مساء. خلف النافذة؟ طلب رؤيتها. .

تسارعت دقات قلبي، وأنا اشير بأطراف عيوني للنافذه التي تقف خلفها. .

رآها. .

اجتر شهيقاً طويلاً. . رمقني. . نظر صوبها. . كرر ذلك مرات!

انفجر ضاحكاً. . وهو يشير اليها، . بأطراف أصابعه. .

تسلقتني غيرة. . أدركت أنه يحبها. . سبقني إليها. . اصطحبها مرات عديدة. . أفضت اليه بقلبها. . حدثته عن غبائي، وتلويحاتي المجنونة. .

بالتأكيد. . هي تضحك مثله. . خلف النافذة. .

خجلتُ. . اعتراني أسف، قذفته بأبشع السباب. . اتهمته بالخيانة. . والحماقه. . دفعته بعيداً عن نافذة غرفتي. .

اغلقتها. . بعدما اقتنصت نظرة إنكسار صوبها. .

لم يكف عن الضحك، والدوران في اركان الشقة. . ضارباً يداً بيد!

قال بحروف متقطعه، خرجت بين قهقهاته المتواصلة.. لم يكن ثمه فتاه هناك. انها قلة موضع عليها قطعة بيضاء!

يا له من زمن متسارع.. مرّ عام.. وقلبي يأبى نسيانها.. لازال يخفق بحبها.. وذاكرتي تختزن ملامحها، التي حُفرت في مساحة أمل خضراء.. بين خيالي والنافذة..

طلب صديقي ان اتهيأ للرحيل معه..

حزمت حقيبتي..

القيت نظرة صوب النافذة..

انها هناك.. بوجه ملائكي، يتوسطه أنف معقوف.. وعينان يسكنهما حزن ساحر.. وقوام ناهض يعلوه تمرد.. تحمله سيقان ناعمة....

لم أقو على التلويح مودعاً.. سألقاها يوماً.. أبوح لها بحبي وعذاباتي!!

جسد ووجوه..

إندفع الأصدقاء الأربعة، حينما لفظهم الفجر، مع خيوطه الأولى.. يحملون النعش الذي عكفوا على تهيئته، وقتاً طويلاً من الليل، وضعوا فوقه وسادة طويلة، لفّوها بغطاء أبيض، مخنوق الرأس والقدمين.. تنبعث منه روائح لعطور وبخور!

بعد وقت قليل، انضم للجنازة عدد كبير من الرجال. يتناوبون على حمل النعش.. يتهامسون متسائلين عن هوية الميت؟

لا إجابة من أحد!

أدركوا ان المصيبة كبيرة، ألجمت الأفواه.. ونشرت مساحات من الصمت الحزين..

واصلوا خطواتهم في خشوع نحو المقبرة!

تنصل الأصدقاء الاربعة، شيئا فشيئا، من حمل النعش.. وتراجعوا خلف الجنازة، يمشون بخطوات وئيدة.. يرقبون.. يرددون مع المشيعين «لا اله إلا الله»...

توقف الموكب قريباً من تلة رملية.. تبعثرت حولها قبور. عند أطراف المدينة.

اصطف المشيعون خلف شيخ طاعن، للصلاة على الميت..

إنشغل بعضهم بالحفر، وتهيئة الشواهد.. إنشغل آخرون بترتيبات صامتة مقدسة..

تحولت همساتهم إلى همهمات مسموعة.. يسألون بوضوح.. عن الميت..؟

امتزجت الفوضى بالوقار المرسوم على الوجوه..

اختفى الاصدقاء بين الجموع، في اماكن متفرقة.. ساد هرج ومرج.. تقدم الشيخ بمعاونة بعض الرجال لحسم الأمر.. وكشف الغطاء عن وجه الميت.. لمعرفة هويته.. قبل انزاله القبر!

سادت لحظات ترقب صامتة..

صاح الشيخ بصوته الخشن المبحوح.. الله اكبر.. هذا جثمان ولي من الأولياء.. رجل صالح.. وضع الله روحه على هيئة مَلَك.. يرقد فوق النعش.. تفوح منه رائحة الملائكة الزكية!!

جزم بعضهم.. بصوت خفيض، انها جثة رجل زنديق فاسق، منعت أقاربه من إفشاء هويته.. خشية ازدراء الرجال، وانفضاضهم.. وقد أحالها الله لتلك الوسادة المتهالكة..

تجمع الرجال يهللون.. يكبرون..

لم يقدر الشيخ، منع أيديهم، التي امتدت متزاحمة، للتبرك بالقطن المطل من باطنها!

انقضوا عليه.. تنازعوه.. يشتمون رائحته.. يدسونه في ثيابهم..

انتشرت أجزاء منه.. تطايرت مع الهواء. لتملأ أركان المقبرة..

وقف الشيخ بعدما ملأ جيوبه بالبركة.. عند رأس النعش. يرفع يديه.. والمشيعون من حوله.. يطلب رضاه.. ويدعو له بالرحمة والغفران!

كثيرا ما التقت عيون الأصدقاء الاربعة.. يرقبون رجالاً من ألوان شتى.. يرحلون. عبر دروب بيضاء!!

شبق..

أزحتُ عيني بعيداً.. بحثت عن ملاذات أختبىء خلفها، هربا من اتهامات، انبعثت من عينيه البريئتين.. كانت ترسل معاني لم اكن أفهمها.. تحمل الف سؤال .. ما الذي فعلته..؟ وماذا بعد..؟

لكني.. ما لبثت أن احتويته بين ذراعيّ، ورحت أطبع على اركان جسده الناعم، قبلات دافئة..

لا أدرى كيف أحدثك يا صغيري؟ ومازال عمرك الغض، يزحف نحو شهوره الاولى..؟

لن تسمعني.. لن تفهمني.. وربما تغمض جفونك.. لكني سألد لك الحقيقة، التى كانت ترقد معك. في رحم أمك.. فربما لا أقدر.. حين تكبر!

إسمع يا صغيري..

لم يكن لي خيار في الطلاق، من زوجي.. بعدما ادركت انه على علاقة بشقيقتي.. امك!

كانت في السنة النهائية بكلية الطب، حينما تزوجها ابوك رجل الأعمال، كان متيما بها.. كاد يطير من السعادة، حين أخبره

طبيب النساء.. انها تحملك.. في احشائها..

كثيرا مـا أمضيتُ معهـا بعض الليـالي.. كـانت تتركني وزوجها في غرفة التلفاز.. لم تكن تقوى على السهر، بسبب آلام الحمل..

أفقت ذات ليلة، بعدما تناهت إلى مسـامعي، أصوات مملؤة بنشوة بغيضة.. فاذا بي لازلت ممدة أمام التلفـاز.. وقـد انسل زوجها إلى غرفتها..

استيقـظ معي حقـد قـديم يقبـع في ذاكـرتي، دفعني إلى التلصص، عبر ثقب صغير، لنافذة جانبية..

ابتلعتهـا بعيـون سـوداء، يملؤهـا الانتقـام.. امتـزجت همساتها.. اندفعت صوبي. تدق كياني..

ذقت لذة التلصص. ومـرارة الحـرمـان. عـانق عقلي، شبقـا متـأججـا.. تملكتني رغبـة جـامحة.. أن اكـون مكـانهـا.. أجتر بعنف، لنفسي المشتعلة خلف سياط خيانة. تسكن ذاتي!

قادتني ليال حمـراء، نحـو رغبتي.. شيئـا فشيئـا.. بعـدمـا بذرتها.. هناك في بيتها.. وأثمـرت في شقتي.. التي أعيش فيهـا مع أمي المريضة..

في ستر الليل وصمته.. كنت اقضي ساعات في احضـانـه.. اترك له العبث، في خلايا جسدي المشتاق. وثنـايـاه المتـأججـة.. يضرب هضابه المتمردة.. يدفن أوديته المشتاقة.. مرات ومرات.

في الاشهر الاخيرة من حملك، ياصغيري. حدثتني أمك، انها، تعاني فتورا في عاطفة أبيك نحوها..

ملأتها ريبة عظيمة في ارتباطه بعلاقة ما.. هي أنثى بالتأكيد.. لا أعرفها.. هكذا قالت لي؟

لم أقدر على مصارحتها، بأني تلك الانثى.. كان تفكيري محصورا في لحظات اللذة، التي اقتنصها معه..

في أحد الايام القائظة.. بعد ولادتك بشهرين.. كنا نتحلق حولها في المستشفى التي نُقلت اليه.. بعد ابتلاعها بعض الاقراص.. كانت تتأرجح بين غيبوبة طويلة، ويقظة متهالكة..

جئنا بك لتمتص ثدييها..

فتحت عينيها.. أومأت لي بالجلوس إلى جوارها، بعد أن أشارت للجميع أن يغادروا..

القمتك صدرها..

رمقتني ببقايا عيون.. همست.. «تيقنت من الانثى التي سلبت زوجي.. وحياتي»..

قالت بصوت مقتول.. لم أنم ليلة أمس.. لم أجد سوى الاقراص.. تبعدني عن طريقكما.. يا عزيزتي!!

فاجأتني حين قالت.. لتعلمي.. ان زوجي عقيم، وان هذا الطفل، الذي يرقد بيننا، هو ابن الرجل، الذي كان يوماً زوجك.. فلم تنقطع علاقتي به حتى الان.

أطلقت صدرها من فمك.. بعدما إنتابتها رعشة عظيمة..
تمتمت بكلمات لم أفهمها.. ولم تفهمها أنت يا صغيري..
وأبحرت في غيبوبة..

غصةٌ..

أطل من جذوة شبابه، بعيون لامعة.. في ظهيرة عمره..

وقع بصره عليها.. إنها هناك.. مكومة بين أكداس الأواني والأثاث، تغزل بيديها نسيج العش الذي يجمعهما.. تحوطه بجهدها.. تبعد عنه عبث الرياح!

تململَ ماردُ عنفوانه.. فلامس حجراً مقدساً.. ما لبث أن سقط على صفحة ماءها!

إهتزت صورتها في عينيه..

تهيأت دوائره للابتعاد عن مركزها.. فقد ملّت رغبته.. فتورها!

أطلق شبق عينيه، يبحث عن أخرى، بفحولة فارس، أتقن الركوب.. وخبر الدروب!

توقف عند مفترقات هواجسه..

تحفز لاستبدالها بأخرى.. أكثر سحراً وشباباً..

تراءى له أطفالهم.الذين يعشقهم.. ويحبونها.. إنبعثت من أصابعهم الغضة.. اتهامات بالحماقة..

تراجع!

إبتلع غصته وحيداً في صمت موحش. .

أسلم قياده على مضض. .

ظل يتأرجح، بنفس ملولة، بين أوتار دوائره. . يرقب أيامه تزحف. . كسحابات صيف مشبعة بالمجهول. . تقوده مسلوب الإرادة. . نحو يأس أكيد!

وعندما إقترب الليلُ من حياته، واستبدل سواده بالياسمين. . سقطت زوجته. . إلى الأبد!

كان يقبل أن تكمل معه، أو تسقط عند الظهيرة!

لم يبكها!

حزن لتأخر سقوطها. . وراح يبكي نهاره، بعدما أفلت من يده. .

ألقى بقايا جسده العتيق، على قارعة يأس. . قريبا من مضمار سباق!

لم يمكث طويلاً. .

أفاق على شعاع ينبعثُ من داخله. .

توقف. .

تأمل. .

نهض متثاقلاً على حافة نهاره!

أسند ظهره لأيامه الغابرة. .

تهيأ أن يدفع الليل الآتي بكلتا يديه!

لم يقو . .
قبض بكف مرتعشة ، على بقايا سكين صدئة . .
راح يقطّع بنشوة جارفة . . أجزاءً من الليل . .
يفتتها . .
يقذفها تباعاً . . صوب نهاره . . الذي اتسع . . واتسع!
أمتطاه . .
إندس بين ثناياه . .
تهلل . . حينما إبتعد عن الليل . .
راح يلوّح له . . يرمقه بازدراء . . من بعيد!
بحث عن حلمه القديم، القابع في الذاكرة . . خلف التجاعيد الموغرة . .
عثر عليه . . نفض عنه الغبار . . فلاحت له ، اكثر سحراً وشباباً.
سال لعابه . .
أمسكها . . تشبث بها . .
أطلق عيونه بحذر في كل الاركان . .
كبرت الأصابع ، ابتعدت . . انشغلت مع اخرى!
لم يعد يخشى الإتهامات . .
لملم الابتسامات المخنوقة منذ الأزل . .
تحفز لإطلاقها . .

لم يقو . .
تشققت شفتاه الواهنتان!
تألم . .
راح يبتلع غصته وحيداً . . في صمت موحش!!

المؤتمر..

طلب موظف الاستقبال إلى عـامـل الفنـدق أن يـرشـدني إلى غرفتي.. بعدما بالغ في الحفاوة والترحيب..

أغلقتها..

تحررت من ثيابي، بعد الرحلة الشاقة، من قريتنـا النـائيـة إلى العاصمة، عبر القطار..

انتشلت أدوات الماكياج من حقيبتي، وضعتها حول شواطىء المرآة الكبيرة، المعلقة مقابل السرير..

رحت أتحسس جسـدي عبر أمـواجهـا.. اتهيـأ لصنـاعتـه زورقا.. يوشك الابحار!

وقعت عيناي على برنامـج المؤتمـر، الـذي لبينـاه، على نفقـة الحكومة.. لبحث «قضايا المرأة»!!

تصـادف جلـوسي إلى جـواره.. في أولى الجلسـات. لم أكن أبرحه.. لحظة..

كنت ألمـح عيـونهن، تفترسنه طـوال الـوقت.. وأمست.. قضيتي الاولى!!

في احتضار اليوم الاول.. اتفقت معه، على كتابة تـوصيـات

جلساته، بعد تناول العشاء. .

رحب بالفكرة!

كانت غرفتي. .

هبط كالملاك. . بخطوات واثقة، وثياب جميلة، تقوده حفنة اوراق، وملفات.

احتضنا منضدة صغيرة. .

شرعنا في الكتابة، اندمجنا في تلخيص التوصيات. .

كثيرا ما اختلست النظرات اليه. .

أفقت من شرودي، على صوت شيء ما، وقع أسفل المنضدة. . بعدما غادر الليل منتصف. . وخيم السكون على المكان. . إلا من اصوات موسيقى تنبعث من الخارج. .

التقت ايدينا لحظة العثور على القلم. . لاحت منه ابتسامة متكلفة. سكنت روحي. امتدت إلى اطرافي. .

اعتدل في جلسته. . قال بصوت نحاسي. . والان. . لم يبق غير التوقيع، من كلينا. .

امسكت القلم. . اجتاحني شعور بالتحفز، للتوقيع على وثيقة لاغتصابه، أو الزواج منه. !!

أصابتني سهام خفية، دفعتني للتحديق في عينيه، وقد عثرت فيهما، على شيء ما، يدعوني لامتلاكه. .

وفي لحظة. . وجدتني في احضانه. . أدوّن توصياتي على

شفتيه، طوال الليل!

باغتنا الصباح، حينما حطم صوت الهاتف، سكون الغرفة، التي امتلأت بثياب، وأحذية متناثرة، ورابطة عنق، ترقد في ركن بعيد من أركانها!

امتدت يداي، تقبض بفتور، على سماعة الهاتف؟

انبعث صوت زوجي من القرية، يسألني عن حقيبته الخاصة، التي استعنت بها..

لم اكن امتلك طاقة للحديث، ولم أجد من نفسي، ترحيبا بضياع الوقت..

لم يتوقف رنين الهاتف في الأيام التالية.. للسؤال عن الحقيبة.. وضرورة العناية بها..

اغتصبت عينيّ، ومضات من النعاس.. في القطار، الذي حملني عائدة إلى قريتي..

أصابني إرهاق بالغ، منعني سماعه، حينما حاول إيقاظي عصرا، لأصنع له فنجان قهوة..

لم يكن دبلوماسياً في النقاش الذي احتد بيننا.. ولم يكن يتفهم معاناتي الجسدية من أثر السفر، وجلسات المؤتمر المضنية.. وتقاريره وتوصياته!!

اتهمني بالاهمال..

أقسم.. ألاّ أمسّ حقيبته، بعد اليوم!!

تذكرت هذا.. في القطار، الذي حملني لحضور المؤتمر الثاني،
ضمن وفد ضمني، وثلاثة رجال آخرين!!

قفزوا مذعورين ناحية الأم، حينما أطلقت صرخه مدويه . .
ظنوا أن مكروهاً اصابها!

كانت تغطي فمها بيدها، تحاول وأد تلك الصرخات . .
المتأججة في نفسها . .

لم تلتفت اليهم . . أشارت باليد الاخرى إلى التلفاز الذي تسمّرت قباله . . وراحت تحدق فيه . . تتحفز لابتلاع شاشته بعينيها . .

لم تمر لحظات، حتى كانوا يتحلقون حوله مشدوهين . .

أصابتهم احاسيس ممزوجه بالخوف والرضا، وهم يشاهدون نيراناً تعانق ابراجاً تلامس الغيوم . . أناس يختارون الموت بين السماء والارض، يقفزون فراراً من جحيم اللهب . . اخرون يستغيثون من نوافذ شاهقة، بتلويحات هستيريه . . حديد يُصهر . . زجاج يذوب . . بنايات ناهضه تركع . . أناس يسجدون غرقى فى دمائهم . . وأخرون يركضون فى كل الطرقات؟

كان الصغير يتحين الفرص لسؤال والده عن أهوال يوم القيامة، التي حدثه عنها معلم المدرسة . . لكن تسارع المشاهد،

جذبه بقوة. . ولم ينتبه حينما انسل والده الى غرفته، دون ان يتفوه بكلمة. .

كان يدرك المسؤوليه التى يحملها والده، فهو من الرجال المقربين، الذين يشاورهم الخليفه فى كل الأمور. . وكثيراً ما يكتب له الكلمات التى يلقيها على مسامع القوم. .

غادر الليل منتصفه. . انصرف الجميع. . وبقي وحيداً يحدق فى أهوال الكارثه. .

تملكه خوف، لشرارة قد تقفز من شاشته. . تصهرها، وتحرق البيت.

بحركة واحدة. . أوقف الكارثة. . أعاد للبيت سكونه. .

عاد إلى مكتبه الصغير. . وقد امتلأت عينيه بسهاد لم يألفه من قبل. . راح يغوص بشغف، في صفحات لجمال الدين الأفغاني، كان يقلّبها ساعة صراخ أمه. .

امتزجت السطور بالصور. . تنازعته هواجس متدافعة، حينما رأى الكلمات شظايا. . والحروف شموعاً مضيئة. .

توقف مرات ومرات. . بحث عن نفسه التي اندست بين السطور والكلمات. . تعقّبها. . لم يعثر لها على أثر؟

انتابه شعور بأنه الخليفه. . ود أن يكتب خطابه للناس. بيده، دون مساعدة أحد!

افترش ورقه ليست بيضاء. . أمسك القلم. ولم يدعه، إلا

حينما فرغ من كتابته . .

انتابته سعادة غامرة، وهو يحدق في خطابه!

راودته فكرة أكيدة . . بانه الخليفه . راقت له . . إلتبسته . .

إعتلى مقعدا . . أمسك الورقة بيده . . وبالأخرى كأساً فارغة، وضعها قرب فمه . .

تراءت له جموع البشر . .

ايها الناس . .

تمزّقت قلوبنا . . لانسانيه تذبح، وأمن يُغتصب فى بلادكم الموتورة . .

حزنًا، لأشلاء تبعثرت، وأجساد احترقت، لأناس ليس لهم جريرة - كما حدث ويحدث - لأبريائنا منذ عشرات السنين . .

لو أعرف أن دمنا يوافقكم . . لما تأخرنا!

لكن الكرم الطائي يضخ لكم سلفا . . دما زكية . . عوناً لكم، ولأحفادكم، على المحن والكربات!

ذكّرنا الذي يحدث في عهد «ابنكم» بما فعله «أبوه»، حين حرق الأبرياء على مقربة من الشواطىء العذبة، لدجلة والفرات .

فالتاريخ، عقد تتشابك حباته . . وأحياناً تنفرط . .

وعند إعادة حباتها، تنبعث من بعضها، روائح نتنة! . . تشتم منها . . هيروشيما وفيتنام!

وعندها . . تأبى الذاكرة، إلا أن تعود لرفاق الدرة . .

لشهداء كانوا يصلون في أقصى الأرض، التي ارتوت بدماء أطفال البقر، وقانا. ومن قبلهم صبرا وشاتيلا ودير ياسين. على أيدي مهرة، اكتسبوا خبرتهم في مصانع الدواء بالسودان وليبيا . .

أيها الناس . .

أسألكم وقلبي يقطر دماً على أرواح الأبرياء . . هل للمرارة طعم يغتصب الحلوق . . ؟ هل يمكن للقلوب أن تعتصر ألما . . ؟ هل أدركتم أن الانسان هو الانسان . . ؟

أما انتم ايها الرجال . . فلا يخدعنكم الحماس . . ولا تشمخنّ بكم الانوف . . طهروا أنفسكم. قبل الأماكن والرموز . . تأهبوا . . فغداً تُدعَون . . فلا تثّاقلوا!!

أصغى بإمعان . . لعله يسمع تصفيقا أو تصفيراً . .

انتابته خيبة، وغضب.

تسللت إلى عقله، فكرة رعناء . .

سينتظر حتى ينصرف والده للنوم . . سيدخل غرفته خلسة . . يدسُ الخطاب الذي كتبه، بين أوراق والده، التي يقدمها غداً للخليفة . . فربما إلتبس عليه الأمر . . وقرأه للناس . .

بحث عن طريقة، لقهر الوقت الرتيب . . وهو ينتظر . .

قادته قدماه ناحية التلفاز . . أشعله . .

دُهش . . فغر فيه وهو يشاهد في ذات الشاشة، لهيبا ينبعث من أجساد نساء عاريات . . يتمايلن . . يرقصن كاغصان الشبق . .

مسح عينيه أكثر من مرة.. ظل يحدق ملء عينيه..
اغتصبه نعاس!
أفاق في الصباح مذعوراً، حينما أطلقت أمه صرخة مدوية..
ظنّ أن مكروهاً أصابها..
حزنت. لأن الوقت غادر، موعده مع المدرسة..
وانه لا زال يرقد على الأرض.. قبالة التلفاز!!

حالة..

لم يكن ثمة غموض يحيط بشخصيته، التي جُبل عليها.. كان الوضوح يلفه، ويفضح قسماته الهادئة، ومحياه الباسم..

كنت ألمح في عيونهم، اخلاصه في العمل، وثقته في نفسه.. كطير رقيق، يحلّق بخفة ورشاقة في كل مكان.. ويحط بتؤدة، في كل الاركان.. بعد أن يفسح له الجميع.. حباً واحتراماً..

تعجبت.. كيف يصنع الانسان من نفسه مرفئا هادئا، ترسو حوله سفن الاعجاب، وتلوذ اليه مراكب المحبة بأشرعتها البيضاء.. الفضفاضة؟ وكيف يصنع لنفسه.. روحا تسمو وتسمو.. حتى انها لتزاحم الملائكة في الفضاء الواسع؟

وفي لحظات باهتة.. توقفت عن الاسترسال.. ادركت ان التربة الطيبة التي نبت منها.. والاصالة المغروسة فيه منذ الازل.. وخبرته التي اكتسبها بذكاء فطري موروث.. كل ذلك.. صنع له شخصية جميلة ودودة.. أضفت عليه هالة من الحب.. جعلته من الاشخاص الذين يطلق عليهم.. محترمون..

لكني للأسف.. أراه من زاوية اخرى حالكة، تقبع في ركن مظلم من قلبي.. وارقبه بنظره تثير في جنبات نفسي لواعج الأسى

والعذاب والمرارة. . .

تمنيت مرارا ان أكون هو. . بمرتبه القليل. . وغربته التي يعيشها. . وشهادته المتواضعة. . ويكون انا. . . بمركزي المرموق. . وشهادتي العليا. . وثرائي. . أو يكون، من يشاء. .

بحثت في داخلي عن علّة لما أشعر به. . . لم أصل إلى تشخيص يشفيني. . ولم أجد تفسيرا للحالة التي تنتابني تجاهه. .

اشعر باحترام كبير له. . حال رؤيته. . احبيه بشغف. . حتى اني أعانقه في اوقات كثيرة بحب متدفق. . وكثيرا ما اثنيت على جهوده وتفانيه في العمل. .

لكن. . ما تلك المرارة التي تجتاح حلقي. . في وجوده؟. .

أهو الحقد ؟

أهي الغيرة ؟

لا. . لا أعتقد ذلك. . .

وممن أغار. .؟ منه. . لا والف لا. . فهو مجرد موظف يعمل في المؤسسة التي أتربع على قمة وظائفها. . فانا المدير العام. . الكل يحبني ويحترمني ويهابني. . ويعمل لي الف حساب. .

هاجمي سؤال. . بينما كنت ارقب الدخان المتصاعد من سيجارتي، في ساعات العمل الاولى من النهار. .

ـ لماذا طيفه. . يحوم حولي هذا الصباح؟ وقد مضى على فراقه، اكثر من سنة؟

انطلقت من صدري زفرة مملوءة فراغا.. اراحتني من حمل ثقيل كنت أحمله.. حين تذكرت آخر لقاء معه..

كان اللقاء الأخير.. هو الذي اراحني منه.. ومن التفكير فيه.. حين دعيت الموظفين إلى اجتماع لتقييم العمل..

اثناء الاجتماع.. وبعد مناقشة الميزانية المالية، التي لم تكن ترقى لطموحي.. بدأت اشرح للموظفين خطة العمل الجديدة.. ونقاط الضعف في الخطة السابقة.. وضرورة تغيير الموارد.. واذ بي أراهم يفغرون افواههم، كالدواب.. وكأني احدثهم بلغة غير لغتهم..

انتابتني لحظات شرود عميق.. شعرت اني ربما كنت ملقنا.. وليس مديرا..

أفقت منها على أصوات مرتفعه، واصابع تشير هنا وهناك، وهرج ومرج..

فجأة.. توقفت الفوضى، وساد الهدوء، حينما تخلل صوته، ارجاء القاعة، وراح يستنكر خطتي بأدب وحياء.. بل انه شرّحها تشريحا دقيقا.. مبينا عيوبها، ومساوئها.. استرسل يسرد خطة جديدة للعمل.. اقتنعت بها في داخلي، وبدى واضحا، اقتناع الجميع بها..

حدّثت نفسي.. ليته اطلعني على خطته قبل الاجتماع.. واعلنتها بدوري على الملأ..

ربما لم تكن له خطة مسبقة. . لكن ذكاءه الحاد، ونظرته الثاقبة، أسعفاه بولادة خطة جديدة ناجعة. . أو ربما استفاد من تصحيح بعض الاخطاء التي لازمت خطتي. . وابتكر خطة جديدة. . وليدة الساعة. .

لم تكن مكانتي تسمح. . ولا مركزي. . بالانصياع إليخطته واقتراحاته. . أمام الموظفين.

احكمت قبضتي من جديد على الاجتماع. تجاهلت وجوده. . عدّت أحدثهم. .

وقع نظري عليه. . وقد بدى وكأنه يتحفز للحديث. . لم تكن لي رغبة في ذلك. . واصلت الحديث اليهم. .

«. . أما أولئك الذين لا يوافقون ولا يستطيعون العمل وفق خطتي. . فامامهم الباب مفتوح». .

لم يجد أمامه سوى الاستئذان بأدب جم. . وانسحب من الاجتماع. .

بعد ساعة. . كنت احدق في ورقة. . دوّن فيها استقالته!

كانت فرصتي. .

لم أتردد لحظة في قبولها. . وانتهى الامر. .

مضت اكثر من سنة. . ولازال طيفه يلاحقني؟

لم يكن التخلص منه عقابا لخطيئة ارتكبها. . كان انتقاده بناءا مشفوعا ببراهين دامغة. . بل ان خطته الجديدة كانت لصالح

العمل.. ورغم ذلك.. لم يكن أمامي خيار آخر لقبول استقالته!

تهلل وجهي حين سمعت طرقات على الباب.. اعتقدت انها ستنقذني من سحابته الكئيبة التي تلفني منذ الصباح..

- من الطارق؟

- انا الساعي.. احمل لك البريد ياسيدي..

لاحت لي تعليمات أصدرتها.. منذ سنة.. أن تمر الرسائل التي تأتي للموظفين، عن طريقي.. حتى أعلم كل صغيرة وكبيرة، لما يدور حولي.

وقع بصري على توقيعه.. خلف مظروف لاحدى الرسائل..

لا اكاد اصدق عيني.. انها رسالة منه إلى زملاءه في العمل..

دققت كثيرا في توقيعه.. بعد أن قلّبتها أكثر من مرة.. تيقنت انها منه.

- لابد ان اعرف ما بها.. فقد اعثر على دليل يجعلني أشير اليه بأصابع الاتهام.. ولو لمرة واحدة!

أطلت من رأسي أمنية.. تمنيتها أن تتحقق.. لأواجه الجميع.. وأثبت لهم اني على حق..

تمنيت أن الّوح لهم بالرسالة. دليل الجريمة.. ثم أقول وأنا أشير لها: وفي النهاية لابد أن يسقط - هذا المحترم - في عشرات

الحقد.. والتحريض ضدي.. وضد المؤسسة من خلال رسائله المسمومة!!

ارتعشت يداي وهي تسارع لفتح الرسالة.

قرأت..

أحبتي الزملاء المحترمين..

عبر أثير الشوق.. أرسل لكم أطيب امنياتي.. وأخط لكم مكنونات قلبي.. الذي يتسع لكم.. ويحمل في طياته محبة غامرة.. وبعد،

ناديت على الساعي.. أمرته ان يعفيني، من مسؤولية مراقبة الرسائل..

اما الرسالة.. فلم اقو على تمزيقها، أو اعادتها للمظروف.. وجدتها تهوي مع مرارة خانقة.. إلى سلة المهملات.. الموجودة أسفل مكتبي.!!

زهرة..

امتلأت صدورهم بعبيرها.. فاندفعوا يتحلقون حولها مشدوهين، يبتلعون بشهيقهم، زفراتها.. يرقبون تفتح أوراقها الملفوفة، خلف أنوثة، تحرس رحيقها العذري..

تأهبوا للتنافس عليها، حين استوى عودها، وانطلق شذاها يدغدغ الانوف والأبصار.. لكنهم توقفوا..

تراجعوا..

فقد فاز بها.. حارس الحديقة..

نقلها الى حديقته، يدفن جذوره بين أوراقها..

يشتم عبقها..

يرويها..

كانت تحتاج لدفء وماء.. يتدفق من عيون عذبة.. صافية!

أحاطها بأسوار عالية.. مثقوبة!!

لم تُنبتْ براعم صغيرة.. لكنها بقيت تنشر عبيرها، وسحرها.. وبقيت أحلى الورود..

إمتطى صهوة ذاته.. وانطلق لحدائق أخرى، في غيبة أصحابها، يتحسس زهورها الذابلة، يعبث في ثنايا أوراقها،

يبحث عن رحيق يتذوقه..

انزلقت قـدمـاه في طين مخلـوط بسـماد متنـاثـر، تحت سيقـان الأزهار.. فاخترقت أنفه روائح غريبة.. امتزجت بعطر زهـرتـه الغائبة. وهي ترقبه من ثقوب سورها العالي!

أنفق الكثير من الماء المدخـر لـزهـرتـه العطشى، في الحـدائق الاخرى!

لم يعد لديه وقت ينعم بسحرها.. وشذاها..

أهملها..

أدمن التسكع في الحدائق الاخرى!

إعتصرت رحيقها تقتـاتـه.. لتبعـد عنهـا شبـح الـذبـول.. وبقيت خجولة بحمرتها.. صامدة بأوراقها الملتهبة أنوثة!

تغافلت عن هفواتـه.. ومنحتـه وقتـاً حتى الخـريف.. لتبرأ حواسه!

إنتظرته بقطعة بيضاء وماء!

لم يأت.. ألقى جسده المتهالك هناك.. بين كومة ازهار..

دبّت الحياة.. خلف أوراقهـا النـديـة.. في بـرعم جميـل.. يسكنه كبرياء.. وتكسوه أنفة.. ونضارة!

رمقته في المساحة الاخيرة.. واشارت اليه من بعيـد.. ليرى برعمها الجديد..

لم يقدر.. فقد التصق وجهه بـروث، على مقـربـة من سـاق

زهرة نائية.. محدقاً صوب حدائق أخرى!

لفظته..

تألمت حين انتزعت برعمها.. لكنها حضنته.. عانقته.. رفعته عاليا..

فاح عطرها في كل الاركان.. وانطلق شذاها يدغدغ الانوف والأبصار..

تحلقوا حولها مشدوهين.. يرقبون سحرها.. يشتمون عبقها..

ويتأهبون للتنافس عليها!!



شبح منضدة..

تهادى الضيوف بصحبة العريس، الذي جاء لخطبة شقيقتي، على المقاعد الوثيرة في الصالون الكبير لبيتنا. انشغل الجميع في الاتفاق على الترتيبات، الخاصة بالخطوبة..

رحت أحدّق في العريس، الذي احتل مقعداً قبالتي..

لم تمنعني أناقته اللافتة، من إزالة ما علق بذاكرتي منذ سنوات.. بت أراه ماثلا أمامي..

سأبوح بكل شيء.. وأسرد كل التفاصيل، على مسامع الحضور. وليكن ما يكون..

تحفزت للحديث..

ترددت.. خشية أن أنال لوماً، أو توبيخاً، من والدي والحضور..

خشيتُ أن أتهم بالرعونة، والطيش.. وقلة الاحترام.

اقتنصت انشغالهم بالحديث، وانسللت بذاكرتي.. عبر سنوات مضت.. علّي على تصارع افكار تتنازعني.. لاستعيد توازن نفسي.. وساعتها.. لن أندم على تفجير الموقف..

رحت أتذكر ما حدث..

يـومهـــا. . ألقيت جســـدي المنهك على الارض. . وضعت رأسي على بقايا وسادة، انبعثت منها روائح نتنة. .

اعتصرتُ عينيّ في أركان شتى من المكـان. . أبصرت رجـالا وصبية، تناثرت اجسادهم حولي. غطوا في نـوم عميق. . بعـدمـا أعياهم التعب، كما اعياني، من أول النهار الى آخـره. . وقـد أتى أكثرنا من قرى بعيدة، لتجهيز ذلك القريب الميت. لكنهم انزلقوا في النوم، وبقيت وحدي، احدّق في فراغ!!

وضعت يـديّ المتشـابكتين أسفـل رأسي. رحت ارنـــو لتلك المنضدة، التي كانت مـوضـوعـة عنـد الظهيرة، في نفس المكـان، الذي أرقد فيه الان. .

لم يكن لي خيار في الإنجراف نحـو شبحهـا المـرعب. . وقـد جاءوا بجثة الميت، ووضعوها أعلى المنضدة. .

.اندفعت بحـماس لمشـاهـدة غسـل الميت. . شـاركت بجهـد يسير، في مناولة الرجال، بعض ما يحتاجونه من ماء، وصابـون، وعطور. . فهذا دور الصبية الصغار . .

كنت أرمقه بين الحين والحين. . كومة لحم مترهلـة، مـزروع على أركانها المختلفة، شعر كثيف.

لم تكن هيئته محببة. . تسمـّرت عيناه، صوب مجهول. . فيـما ظل فوه، مفتوحا شيئا ما. .

عمد الرجال الى ليفة بيضاء، وراحوا يمسحونها بصابونـة. .

ثم يضغطون بها جسده.. ذهابا وايابا..!!

لم يكن من اليسير عليهم، تثبيت ذراعيه اعلى جسده.. كانا ينزلقان، ويتدليان أسفل المنضدة. يطلان عن يميني وشمالي!

لاحت لي، في ظلمة الليل، ذراعاه المتدليتان، وأنا ارقد، أسفل الميت.. في نفس مكان المنضدة!

شعرت باختناق شديد.. اجتاحتني رهبة. وتملكني ذعر..

نهضت من نومي.. رحت أرنو مع بقايا الظلام، فيمن حولي..

انهم نيام..

ما الذي أصابني؟ لقد فر النوم من عينيّ.

ما الذي جعلني أختار هذا المكان للنوم؟

انه المكان الوحيد الذي وجدته يتسع، لجسدي الصغير النحيف..

لم يكن لأحد رغبة في افتراش كآبته.. تشاءموا منه.. ألقوا أجسادهم في أماكن أخرى.. وعندما بحثت عن مكان.. لم أجد سواه!

ماذا أفعل.. وقد ارتحل الليل بعيداً، صوب نهايته..

أجبرت ذاكرتي على المضي ناحية الرحلة الاخيرة للميت، عليّ أبعد شبح الخوف.. حين حمله الرجال على الاعناق، فوق نعش خشبي.. اتجهوا به بعيدا.. لمواراته التراب!!

أحسست براحة وسكينة.. وأنا أتذكر وقوفنا جميعا.. لتقبل العزاء، بجوار المقبرة..

لكن سرعان ما عادت ذاكرتي الى المنضدة، التي بت أراها مائلة فوقي.. وأنا أرقد بين ارجلها الخشبية.. فيما تدلت ذراعاه على جانبيها..

امسكت عنقي بكلتا يدي..

عدت استرضي نفسي للنوم..

ولكن هيهات!!

تناهى إلى سمعي، أصوات ثياب تُنزع؟

بحثت عن المصدر عبر الظلام، في الأجساد المتناثرة حولي..

رأيت جسدين، يعلو احدهما الاخر..

كان الجسد السفلي، لصبي يتأوه..

اكتنفني حذر، وهواجس!!

حدّثتني نفسي... لان يعلوك جسد تسكنه روح متحركة، تؤانسك.. أفضل بكثير، من رقودك أسفل شبح جثة، بلا روح.. يسكنها صمت مخيف..

أدركت جبروت الأرواح، وهي تمتطي الانفس.. تضرب بعرض الكون. كل النواميس.. تعبُ ما تشاء، وكيفما اتفق.

تناسلت عيناي !!

عدتُ ببعضها، لمراقبة حركة الجسدين، في ركن غير بعيد..

زالت الرهبة، انقشع الخوف..

تحجرت باقي العيون الشاخصة، صوب جثة الميت، وذراعيه المتدليتان!!

تزاحمت الصور المجنونة، في عقلي.. امتزجت العبثية.. بخوف، ونجاة.

أدركتُ أني أدركتُ القشة .. حينما سمعتها قوية، تشنف الآذان..

الله أكبر.. الله أكبر..

انقشع شبح المنضدة..

انزلق الجسد العلوي.. بسرعة البرق..

أسرعت الأيدي لستر الجسدين، بالثياب.. مرة اخرى!

نهض الرجال والصبية.. خرجنا جميعا لصلاة الفجر، في المسجد المجاور..

تيقنت أن الذي تقدمنا للصلاة.. هو صاحب الجسد العلوي..

لم أجرؤ النظر اليه..

تذكرت ذلك، اثناء جلوسي بين الحاضرين في الصالون!

عجبت من الزمن، الذي عجز عن ازالة المشاهد العالقة في ذهني، وانا احدق في العريس، القابع امامي، صاحب الجسد السفلي.. الذي جاء، بعد تلك السنوات.. لخطبة شقيقتي!!

وقعتُ فريسة، لهواجس تنازعتني..

لم أنتبه إلا حين سمعت همهمات الحضور، بقراءة الفاتحة..

فتحت كفيّ، وقرأت فيهما سؤالا مريرا..

ماذا اقول لابي.. وشقيقتي.. والحضور..؟

تحفزت لانتزاع الفتيل..

فالذاكرة تختزن الكثير الكثير.. من مشاهد تلك الليلة..

لابد ان اقول كل شيء..

نعم.. سأقول..

واخيرا..

قلتها..

..... مبروك!!

الحقيبة..

ارتحلت عنه كآبته.. وتسللت الى نفسه نشوة محببة، حين وقع بصره على حقيبة نسائية، ترقد في احضان المقعد الجلدي، المقابل لمكتبه الانيق!

أخبرته سكرتيرته الجديدة، أن صاحبتها، سألت عنه، وقت انشغاله في الاجتماع، ووعدت بأن تعود قبل انتهاء ساعات العمل..

جلس الى مقعده، منجذبا للحقيبة، التي أضفت على المكان، سحراً نفذ الى وجدانه.. أجبره ان يترك فمه مباحا للهواء.. فيما حلّق عقله في جنبات الحياة، يتحسس هوية صاحبتها.. أوصافها.. سبب مجيئها؟

اصطنع الرزانة، أمام سكرتيرته الحسناء.. كان ينصب شباكه. يتأهب للنيل منها..

حبس عنها اسئلة، ازدحمت في رأسه، حول صاحبة الحقيبة!

أسلم حواسه للحقيبة المتمردة أمامه، خلف ذراعين مفتوحتين، تتأهبان للعناق..

تراءت له كمصباح سحري..

انتابته رغبة في لمسها بلطف ونعومة. . فربما انطلقت صاحبتها من قمقمها. . بشعرها الذهبي، وعيناها الزرقاوين. .

أطلق لخياله العنان، يتفرس تلك الانثى المجهولة. .

أشعل سيجارته، حينما فشل في استعادة بصره المثبت على الحقيبة.

لاحت مع دخانها المتصاعد، ملامح لأنثى تشبه سكرتيرته. بشعرها الاسود، وقوامها الفارع. .

تأرجح بين عينيه، وهي تقبض على الحقيبة، ونفسه التي تهفو لأنثى، باتت تحاصر خياله!

أفاق على امرأة جميلة، تقتحم غرفته وأحلامه. .

عاودته حالته الاولى، حين تناولت حقيبتها. . واصطحبته معها الى البيت!

كيس النقود..

تسلقه قلق.. واكتنفته فوضى.. بعدما انتشر عقله في شتى البقاع، يبحث في كل الاركان، عن كيس النقود الذي كان يخبئه..

لافائدة..

انتابه إحباط.. لم يعرف منه فكاكا..

فالنقود ليست له وحده.. انها له.. وشريكه في الحياة..

أسند ظهره الى سريره.. انطلقت ذاكرته لليوم السابق.. علّه يتذكر أحداثه.. يتحسس مكاناً هنا.. أو ركناً هناك.. يعثر فيها على كيس النقود.. أو يضع يده، على طرف الخيط، الذي يوصله اليه..

لكن هيهات!

فأحداث الامس كثيرة.. متشابهة..

تذكر أهم حدث فيها..

الحدث الذي ينتظره.

تذكّر أن أحدهم قدّمه وقصيدته، التي أجهده مخاضها.. وأسعدته ولادتها.

أدرك من عيون أكثرهم، الاعجاب بها. . أثار ذلك في نفسه نشوة جارفة. .

تسائل أحدهم. . اجزم أنك كتبتها في لحظات تجلّ نادرة. . قد أصابك تفتق ملكة. .

دفعه صدى حَديثه. . الى قراءتها مرة اخرى. .

التبسته موسيقاها. . توقف عن تذكر اليوم السابق. . زالت عنه كآبة ضياع النقود. .

عبر الطرف الأبيض للمساء. . قرأها للمرة الثالثة. .

ازداد إعجابه بها، انتشت روحه لكل حرف من حروفها. .

تذكر حالته، وقت ولادتها. . كانت اشبه بالالهام. . أو الوحي. .

كان في مكتبه. . مصطحبا عقله، الذي إكتحل برذاذها. . إمتطى قوافيها ليسبح في بحورها. . ولشدة انجذابه لها. . سكن لبه. . انحسرت أحاسيسه، في ركن ما، بين الورقة والقلم. . انعزل عن الكون، فترة لم تكن قصيرة. .

كان البعض يدلفون ويخرجون. . لم يكن يأبه لهم. .

تذكر. .

ساعتها. . ضاع كيس النقود. .

تيقن انهم سرقوه.

عاوده الحزن مرة اخرى. .

نهض متثاقلا.. دفع احباطاً آتيا.. عبر قطرات من الماء البارد.. ارتشفها بعشق شديد..

إجتاحته حالة، أشبه ما تكون بالأولى!

أسرع الى تعقيم الغرفة والادوات..

كانت ولادة مذهلة. لأخرى، جريئة.. صادقة!

غمرته سعادة عظيمة.. لكنه.. خشي من تكرار ما حدث!

تحسس..

لم يكن معه شيء، يخشى ضياعه..

لكنه.. بات يخشى ضياعُ شيء ما.. أو سرقته!!

الشرفة..

شعرت بمرارة تغتصب حلقي، حينما فتحتُ الباب لأجدها أمامي.. كشيطان أبله؟

لم تكن لي رغبة في رؤيتها.. ولم يكن بوسعي منعها من الدخول.. فهي شقيقة زوجي، جاءت من سفر بعيد لرؤيته..

عانقتها.. تمنيت أن أعتصرها حتى الموت..

لم تكد ترى حطام جسدي الهزيل، وبقايا دموعي المنسابة على وجهي المصفر.. حتى ظنت أن مكروهاً أصاب شقيقها..

هرولت مسرعة ناحية غرفته..

الفته مكوما على سرير، احتلت اركانه زجاجات، واقراص.. منذ سنوات..

يحلق فيها بعينين غائرتين. من عالم آخر.. لم يكن قادرا على الحركة، أو الكلام..

استأذنتها.. انصرفت أصنع لها، ولنفسي فنجانيّ قهوة.. وضعتهما على منضدة صغيرة، في الشرفة.

اصطحبتها.. جلسنا لاحتساء القهوة..

سألتني.. ما أحواله؟ ماذا يقول الاطباء عنه؟

تجمدت الكلمات فوق لساني.

لم تجرؤ على تكرار السؤال..

احتواني صمت.. يخفي بركاناً دفيناً..

لفنا سكون عظيم..

انتباتني رغبة في البكاء.. حين إندفعت ذاكرتي صوب الماضي القريب..

تذكّرت.. حين كان يقف في الشرفة المقابلة.. يـرقبني بنهم شديد..

تجاهلته..

تكرر وقوفه.. كلما ظهرت، لتعليق الثياب وتجفيفها بـأشعـة الشمس.. التي حملت معها، أشعة أخرى.. أشد حرارة، وأكثر وهجا.. كانت تبثها عيونه.. نفذت عبر الثياب المعلقة.. تهاجم بدني.. تدك كياني.. وتهزم مقاومتي شيئا فشيئا..

آثرت الهروب آخر مرة..

عمدت إلى باب الشرفة.. اغلقته..!!

هيهات أن أكبح جماح نفسي.. وهي تشتم عبق رجـولـة، في بستانه الاخضر..

اعتدت الوقوف خلف الباب.. تمنيت أن أركلـه بقـدميّ.. أحطمه. لأحدق فيه.. بملء عينيّ..

لكنني لم افلح!

فأنا أنثى.. محكوم عليها بوأد نوازعها.. وابتلاع أمنياتها!

أنثى.. محكوم عليها بالزواج من شقيقك.. في سجن يسحقني صباح مساء.. تضربني سياطه المعلقة على شرعية جدرانه المظلمة!

عادت ذاكرتي للأيام الاولى.. حين هربت، من زوج أمي المراهق.. وافقت دون تردد، على الزواج منه.

حاول ان يجرب معي فحولته.. لم يفلح. أماتني مرات ومرات.. وأمات سنوات قلائل.. تجمعت عليه فيهن الامراض.. وسقط صريعها.. وها هو يحتضر، وتحتضر معه أنوثتي..

ازدادت حالة زوجي سوءاً.. أدمنتُ اختلاس النظرات.. من الشرفة..

أفلح في دخول بيتي باصطحابه الطبيب المعالج. بحجة مساعدة الجار، والوقوف معه، وقت الشدة!

أعلن الطبيب على مسامعنا، أياماً معدودات. ويموت.. أوصى بتقليل الماء والسوائل ومتابعة العلاج..

كم تمنيت الا يغادر..

همس لي.. اذا قُدر له الموت.. فلن ارضى سواك زوجة.. سأعد لزواجنا من الان..

شعرت بانجراف شديد نحوه، تماسكت.. وأمسكت

قلبي.. قبل ان يهوي..

لكني رحت اعتني بزوجي!!

تأرجحت عيوننا بين الموت والحياة.. الموت الذي نترقبه.. والحياة التي تنتظرنا خلف الموت!

ايقنت ان البعث يأتي بعد الموت .. ولأول مرة اتذوق حلاوة الموت.. واشتم رائحة السعادة!

كنا ننتظر رحيله..

بتنا نعد الثواني والهنّات، لنجمع روحينا وجسدينا. في بيت جديد..

رقص بداخلي قلبي.. حينما كنت ارقبه بالامس من الشرفة.. ارتعشت يداي وهي تلقي اليه بورقة..

هرول ناحيتها.. التقطها.. راح يقرأها..

نظر ناحيتي.. لوح بسعادة مفرطة بكلتا يديه..

رفعت يدي للتلويح.. وقبل ان اعيدها.. تهاويت.. حينما رأيته يُصرع تحت اطارات سيارة مسرعة.. تقطع الطريق!!

أفقت من شرودي، على صوت ينبعث من شفتيها، وهي تحتسي القهوة..

عدت أحدّث نفسي.. كيف أقول لكِ اني فقدت حبيبي بالامس.. ايتها الحمقاء؟..

نهضت من مكانها.. مسحت بمنديل كان في يدها.. دمعة

سخية.. سحّت من عينيّ.. حملت حطام كياني.. وأنا أرفع الفنجان لارتشاف سواده..

احتوتني بين ذراعيها..

تمتمت، بحروف قاتمة..

لا داعي لتلك الدموع.. ولا معنى لهذا الحزن.. سيبرأ.. ويتخلص من الزجاجات والأقراص التي تحيط سريره، بإذن الله!!

إنشطارات ثملة ..

هنـاك في الافق البعيـد . . راحت تتحـرر من لهيبهـا . خلعت شعاعها المتـوهـج . . وانحـدرت بتكـاسـل . . شيئـا . . فشيئـا . . لتلامس وجه البحر . . تعانقه . . بعـدمـا تهيـأ قـرصهـا البـاهت، للتلفح بأمواجه المتلاحقة . .

مضى وقت غير قصير . . لم تعلق بشبـاكي أسـماك . . حتى الصغيرة، التي كنت اعيدها . اشفاقاً عليها . أبت واستعصت .

ادركت، أنه لايأبه لوجودي .

تذكّرت الولائم التي كان يدعوني لها . . يحمّلني خيراتها، على أنغامه الأبدية !

لكنه . . هذه المرة . . يمكر عليَّ . . يستغبيني . يخبئ أسماكه، بعيدا في أعماقـه . . يلقي اليَّ بفتـات أمـواجـه . . تنشطر أمـامي . فتجذبني . وترغمني البقاء مستسلماً، للموسيقى المنبعثةُ منها . .

تدوي ضحكاته السـاخـرة . . المطلـة من ثغـرات شبـاكي . . الغارقه في صمتها !

يـوشك غيظي . أن يقيّد خطـواتي المترنحـة . . أو يطّلقهـا الى مالانهاية . تلتهم المدى . . وتطوي المسافات !

أدركتُ أني اكرم منه . .

ازدادت قطراته، بعدما بصقت عليه برذاذ متكاسل. من حلقي المتيبس.

أيها العملاق الأجوف. . أتحداك أن تخنق آمالي.

لن أجثو امامك، فأنت مخلوق مثلي، لكنك خبيث!

أدعوك للنّزال. . هيا نتصارع!

كثيراً ما أخبرتها أنك صاحبي. . توأم روحي منذ الأزل. . ليتها معي، لتشهد أنك عدوي اللدود!

لن ألقي بالاً لدموعي. خذها إن شئت. لتملأ جوفك، وتزداد ضخامتك. ويكبر جبروتك.

أيها العملاق القزم!

سأركلك بأقدامي. . وأضرب صفحتك بيديّ. . ثم أنتشل حفنة من مائك المالح، أمسح بها وجهي!

. . .

تراجعتُ. . إبتعدت عن شاطئه. بينما ظل عملاقاً. . صامتاً خلف موسيقى أمواجه!

لازالت نفسي تهفو لصيد، أبتاعه. . احتفل معها بمرور عام على زواجنا. .

كيف ألقاها. . ؟ ماذا أقول لها. . ؟

هل تصدق انه خدعني. . ضنّ بخيره، ومنحني موسيقى،

سحرتني لآخر الوقت..

ستتهمني هى الاخرى بالغباء.. والبخل..

سأرفض..

سأشتري سمكاً. لابيعه!

لكنها لا تريد سمكاً.. تريد وقتاً دافئا. نقضيه معاً.. نسبح فيه عند أقدام الموجة الاولى.. نثمل.. نسهر حتى نقبض على خيوط الفجر!

لا فائدة..

إذن.. استدين نقوداً..

ماذا أفعل بها؟

لملمت شباكي الخاوية..

انكسار الامواجُ، يصدح في روحي!

انكسار نفسي، يقودني مهزوماً.. ناحية البيت..

القيت شباكي الحزينه.. قريباً من الباب..

أدرتُ المفتاح..

سكون مدو.. أشياء مبعثرة.. فوضى، تملأ المكان.. صمت قابع مع بقّايا نبيذ. في زجاجة، افرغتها في جوفي.. قبل ذهابي للصيد!

سأتحداه.. سأحتفل معها.. دون سمك، أو نقود..

فالموسيقى لازالت ترقص داخلي.. وصورتها تنعكس على

الأمواج المتلاطمة، المنحسرة في قاع الزجاجة..

زحفت يداي لتعانقها من جديد.. تجتبر ما بقي.. بعدما تذكرت أني طلقتها!

فقدتُ توازني.. كدت أنزلق إلى الأرض، وأنا أسارع لفتح الباب.. فالطرقات عنيفة متسارعة.. مصحوبة ببقايا نشيج، وهمهمات حزن مكتوم.. وجدت أمي قبالتي، بشحوبها، وهيئتها الكئيبة، وثيابهاً التي وضعتها على جسدها كيفما اتفق.. كانت تحمل في يدها صحيفة.. ألقتها في وجهي.. اندفعت داخل البيت تولّول، وتصرخ.. قتلوه.. يا لحظك العاثر.. قتلوا زوجك!

لم أجد من نفسي ترحيبا بها، ولم تجود عيناي بالقطرات المعتادة في تلك الحالات.. لكنها تحجرت.. تسمرت صوب افق مجهول..

تركتها تفترش الارض بجسدها الواهن.. وانسللت بذاكرتي إلى اليوم الاول.. حين جلستُ قبالته، أمام المأذون. غطى كفينا بمنديل ابيض.. كريه.. أصابني بضيق شديد.. انطلقت من صدري تنهيدة عميقة.. أفرغته من الهواء. وأنا أرنو لذاك الكفن الذي ترقد كفي خلفه.. مع كف أخرى، تقبض عليها، تخنق أنفاسي، واحلامي..

لم تكن لي رغبة في الارتباط به.. ليس لفارق السن الكبير..

لكني كنت اعتصر الاحلام، واختزن الايام، أبحث عن حب صغير ينمو مع بقية العمر، يزلزل كياني الغض، ويدغدغ مشاعري التواقة.. وهي ترقب دخولي الجامعة.. رحت امنّي نفسي بتجارب سمعتها من صديقاتي.. قرأتها في الروايات.. كنت امقت الزواج التقليدي، كزواج اختى الكبرى، الذي يمثل أمامي، بشخوصه الباهتة، وأحداثه الثقيلة.. كفيلم سينمائي مملٍّ.. إرتاده الناس لمشاهدة، مصرع أبطاله..!

اذكر تماما ما قالته لها والدتي.. «سيأتي الحب بعد الزواج».. وانتظرت المسكينة كثيرا، تترقب مجيئة.. لكنه لم يأت.. اكتفى بارسال مشاكل، ورتابة.. وانتهى بطلاق، حمل معه ثلاثة اطفال، يقيمون معها.. في بيتنا..

طلب مني المأذون ان أردد خلفه.. «قبلتك زوجاً لي..» إنطلقت الزغاريد!

حملت الأيام التالية للزواج، غيوما، ملئى بالرتابة والملل.. ما لبثت ان زخت أخبارا، عن زيجاته المتعددة، اطفأت معها بارقة الأمل.. بعدما تيقنت انه لا يملك وقتا ينفقه بصحبتي.. اصبحت الشقيقة الكبرى لاثاث البيت، ومحتوياته، التي تقع على مسؤوليتها العناية به، وتنظيفه وترتيبه.. وسبّه وركله، في احيان كثيرة!

تبادلت مع أمي اشارات صامته مبهمة.. كل صوب

الاخر . .

أفقنا على وقع خطوات، كانت لشقيقتي المطلقة جاءت لمواساتي، فيما انتشر اطفالها يعبثون بمحتويات البيت . .

لم تكن لي طاقة على نهرهم. تركتهم. قادتني ذاكرتي إلى المرة الاخيرة، التي رأيته فيها منذ يومين . . بعد غياب أسابيع . . حينما فاجأني، بوجهه العريض، وكرشه الممدود، يطلب الطعام على عجل . .

انفجرتُ فيه صارخة . . احدثه عن الملل . . الوحدة التي اعانيها، طلبت اليه ان يصحبني معه إلى نزهة، في مكان عام . .

لم يجد أمامه مفر من الاستجابة، بعدما هددته بترك البيت.

راودتني احلام بان يحملني لاحد المطاعم . . او الحدائق . .

ازدحمت برأسي الافكار. سببت لي صداعاً، حينما أوقف سيارته في منطقة خلوية . .

تساءلت: ايظنني طفلة، يرضيها بالقليل من احلامها . . ؟ أم أنه يخشى رؤيتي بصحبته . . فآثر الانزواء معي إلى مكان معزول . . ؟

وفيما ازدادت شكوكي بتعدد زوجاته، ازداد مقتي له . . لكنني آثرت الصمت!

ترجلنا من السيارة نحمل بعض الامتعة الصغيرة . . اسندتُ ظهري إلى جذع كبير، لشجرة ضخمة . . بينما توسد ساقيّ . .

وراح يداعب بيديه الغليظتين، يديّ. . واجزاء من جسدي. .

حدثني عن ثروته العظيمة. . أعماله الكبيرة المنتشرة. . علاقاته النسائية السابقة. . التي لم يعد لها وجود، بسبب حبه لي!

تابعنا بعيوننا ورقة خضراء، سقطت من غصن. راحت تترنح صوبنا. . التقطها بيده، حدّق فيها. . انتابته حالة من الضحك. . لم تكن لها مقدمات، كانت تخفي سراً عظيماً؟

قادني الفضول لسؤاله عن هذا الضحك الهستيري.

تردد في البداية. . حاول تغيير دفة الحديث، لكنه، عاد ليخبرني عن حادثة بسيطة. . ارتكبها بالخطأ. . منذ اسبوع. حين داهمت سيارته، أحد المارة. . بالقرب من تلك الشجرة التي نجلس تحتها. . توسل اليه الرجل أن ينقله إلى المستشفى. . لكنه رفض! . . أخبره الرجل بصوت متقطع، والدماء تغطي جسده. . أن أوراق تلك الاشجار، ستشهد عليه يوما، إن تخلى عنه. . لكنه اطلق لسيارته العنان. . وتركه ينزف. . وقد علم في نفس اليوم، أنه فارق الحياة. .

طلبت اليه بازدراء. . ان يكف عن الضحك. .

لم يكن لي خيار في الرحيل عن المكان. بعدما اختلطت الصور في مخيلتي. . وبهتت معالم الاشياء. . والمستقبل.

في المساء. . افقت من شرودي، على مرارة وحدتي. . ورحت احدق ببقايا عينيّ، صوب اوراق الشجرة الصغيرة،

القابعة في غرفتي، بلا حراك.. فيما لاحت لي الشجرة التي شهدت معي، حديث ورقتها الخضراء..

اقتنصت من تعاستي، لحظات.. لم أكن لاضيعها.. وأنا أرقب شاطىء نجاة!

ضمنت كآبتي، وأشلاء نفسي.. ايعازا لاهل القتيل.. بالقاتل..

...

التقطتُ الصحيفة المطروحة فوق ساقي أمي الممددتين.

قرأت..

«مقتل رجل اعمال.. بسكاكين قروية».

لم تكن لي رغبة في قراءة التفاصيل.. القيت الصحيفة جانبا.. وانطلقت بصيرتي نحو السنة الاولى للجامعة..

ناولتني أمي منديلا أبيض. كأنها تحثني على البكاء.. مزّقته.. طلبت منها ان تعد لنا الطعام.. بعد أن ناولت شقيقتي نقوداً، لشراء زجاجة عصير كبيرة، نحتسيها مع الغداء.. وبقيت الهو مع أطفالها..!!

نُباح.. وهمسات

شغلتني هـواجسي عن النـوم. . واقتحمتني مـع القـلـق، فوضى، سلبت سعادتي. .

قلبتُ الوسادة، على الجانب الاخر.

لا فائدة. .

ارتحل الليلُ صوب ذيلـه. . واحتـل الصمت والهـدوء، كـل الاركان. الا من نُباح كلب، كان صوته، أنيسا له. . وربما لي. .

غبطتُ الكلب على صوته، وقـد تنـاغم مـع سكـون الليـل، وذابا في موسيقى. .

انتابتني رغبة في النباح. .

أدركتُ بشـاعـة أصـواتنـا، تلك الصرخـات، التي تغتصب سكون الليـل، تفضّه. . تجعلـه يحمـل سفـاحـاً. . جنين الأنـا. . حينما يولد مارداً. . ويأبى. . الا أن يظلَ عظيماً!!

أحببت في السكون، صبره وتحمـّله. .

لاحت لي همساتنا. .

سأتحدى بها. إنها الاعذب، والأرق. .

تراجعتُ. .

ما أبشع أن يكون التحدي.. بالهمسات!!
لا فائدة..
حانت لي التفاتة..
ألفيتها جثة. ترقد بجواري.. وقد حطمت كبرياء ذاك القميص..
اشتقت لهمساتها.. لكنني خشيت من سكون الليل.. بعدما ألفَ النباح!!
رحت اصيخ مليا، علّها تنبح.. فقد تاق بدني لها..
أعياني السكون. بات السهاد يحاصرني؟
كيف أوقف نباح الكلب؟ فلم يبق لي غير النوم؟
رحت ابحث عن حجر، في بقايا ظلام..
عثرت على زجاجة دواء..
اتجهت بها صوب الشرفة.
اشحت بيدي التي تحملها.. رفعتها عالية.
سأرميه بها..
تساءلت..
ربما لم تكن فاسدة؟
حدّقت في الزجاجة، بامعان شديد.
قرأت..
«رج الزجاجة جيدا، قبل الاستعمال».

فعلت.

وقذفتها..

وبقيت أحدّق صوب الغد.. حتى الكهولة!!

وردة..

دفنتُ رأسي في صدره.. طوقني بذراعيه الحانيتين.. راح يربت على كتفي.. ويهدىء من روعي وآلامي.. وأنا لا أقدر على الكلام..

أدرك صديقي.. أن بركاناً مدمراً يجتاحني.. أغلق الغرفة.. أجلسني إلى جواره..

تدفقت في أوصالي، خلجات مريحة.. هدأت نفسي قليلا.. بوجوده إلى جواري..

حملق في وجهي.. لاذت عيوني لاصابعي المتشابكة.. أطرقتُ رأسي، محاولاً الهروب.. لم افتح فمي، الا حينما سألني..

- صحيح ما سمعت؟

- صحيح. لقد طلقتها..

- هل جُننت؟ لم يمض على زواجكما شهر.. لا زلنا، نعيش نشوة فرحتكما.. نذكر تلك الليلة الحالمة، حين جلست بجوار الوردة على المنصة.. ورحنا نغني ونرقص. ابتهاجاً بكما..

- أذكر.. أذكر.. لكني طلقتها!!

ـ هل تشاجرت معك.. أو مع والدتك؟

ـ لا.. لا.. لم يحدث شيء من هذا؟

ـ اذن اخبرني.. ما الجريمة التي استحقت عليها الطلاق؟.. هل اكتشفت انها...

ـ ارجوك لا تكمل.. سأحكي لك الحقيقة..

...

ما كاد الاسبوع الاول من زواجنا يحتضر.. حتى بدأت النسوة بالحج إلى بيتنا ـ كعادة الجيران ـ للتعرف على العروس الجديدة.. كنت ابتسم لهن.. اتقبل منهن التهاني.. أطرب لاطرائهن على محاسن عروسي، وأحيانا أخرج من البيت.. لاتيح لهن التحدث بحرية..

لكني.. لم احتمل رؤية «وردة» بين الزائرات.. بل لم اطق وجودها في بيتي!

تكررت زيارتها لزوجتي.. كانت تعاودني كآبة، كلما رأيتها.؟

لم أكن اتصور، أن يشعر رجل.. بانكسار، وهو ينظر لفتاة.. أي فتاة، خاصة في مجتمع قبلي، يتصدر فيه الرجل، الحياة بلا منازع.. معتمدا على الخشونة الجوفاء الموروثة.. التي جعلته آمرا.. لا رجعة في كلامه.. ولا راد لقضاه..

ومع ذلك.. أعترف لأول مرة.. اني لم أكن اجرؤ النظر

لعيونها ـ بل اني لم احتمل ذلك مطلقا . .

عجبت من نفسي . . وأنـا الخبير في عيـون النســاء . . تلك الشباك، التي تُنصب بسحر متقن، لكل عاشق، أو متيم . .

تساءلت . . ما تلك الرهبة . . ؟ ما تلك المرارة التي اتجـرعهـا في صمت . . كلما رأيتها؟

أقسمت على زوجتي الا تسمح بزيارتها . .

لكن هيهـات . . فقـد اثـار هـذا . . نـوازع الانثى لـديهـا . . وراحت تتحين الفرص الهادئة، لمعرفة سر امتعـاضي وضيقي، من تلك الفتاة ! !

لكني بقيت احرص على الكتمان . . إلى أن حدث ما حدث ! !

ففي احدى الليالي الهادئة . . حيث الهـواء العليـل . . وشـذى الأزهار الذي اقتحم غرفة نومنا، من النافـذة المطلـة على الحـديقـة الصغيرة، المختلطـة بـروائح عطـور، انتشرت من قميص النــوم المثير، الذي اوهمتي زوجتي انها ترتديه . .

لم أكن اتوقع، أن الانوار التي تتهادى كالمـلائكـة، من بعض شقوق النافذة . . هي مقدمـات للعـاصفـة اللـذيـذة . . والـزلازل المحبوبة . . التي كنت انتظرها في تلك الليلة . .

رحت احدق، املأ النظر، في الكون الفسيح الجميل، الذي يسكن غرفتي الصغيرة . . وأنا أرقب على سريري أقماره البيضـاء، ونجومه الواعدة . . فيـما تحـول الحـديث إلى همسـات متثـاقلـة . .

امتدت الايادي تعبث.. اقتربت الشفاة.. التصقت الأجساد..

لم يمض وقت غير بعيد، حتى هدأت العاصفة.. وارتاحت الابدان.

اقتنصت فتوري الراقد حول شواطئها... طوقتني بذراعين حانيتين. سألتني بصوتها الساحر المرهف، عن سبب مقتي لوردة.. بعد ان وضعت احدى ساقيها على جسدي..

اكتنفتني رهفة.. شيء ما ينفذ إلى أعماقي، يبعث في جسدي نشوة محببة.. شعرت أني بحاجة لها.. كي تسمعني.. علّها تزيح عن كاهلي بعض الهموم الدفينة..

وضعتُ كلتا يدي أعلى جبهتي.. محدقا في سقف الغرفة.. وزوجتي تنصت.. الا من انفاسها المتأججة، التي كانت وقوداً، يدفعني للحديث دون توقف..

رحت أحدثها.. حينما خرجتُ، في الصباح المتأخر، لاتسكع بالقرب من بيتنا.. تحت اشجار النخيل.. المنتشرة في كل مكان.. أملأ صدري هواءً نقياً.. أحظى بنظرة هنا، أو هناك.. تسعدني.. تجدد نشاطي وحيويتي..

لاحت مني نظرة لأعلى... تذكرت الألعاب النارية، التي تعلو للسماء، ليلة الاحتفالات.. وأنا أرنو لعناقيد البلح..

هداني تفكيري، لالتقاط حجراً أسفل قدميّ، تهيأت لارساله بقوة شاب، اقترب من خريف العقد الثالث.. رحت أرقب

مساره، بعدما اندفع من يدي بسرعة كبيرة، صوب عنقود البلح الاحمر، الذي تدلى مع عناقيد أخرى من أعلى نخلة.. عليّ أظفر ببعض ثماره الطيبة.. لكنني أدركت أن الحجر لم يكن ليصيب الهدف.. بل اندفع خارج مساره.. إلى غيب مجهول..

بعد وقت لم يمر، تناهى إلى سمعي صراخ مكتوم.. تبعه سكون مدو..

تلفتُ يميناً ويساراً.. أدركت أن حملاً ثقيلا تسلل لاعتلاء كتفيّ..

رغم خلو المكان من البشر، بت أخشى حملقات النخيل بعيونها الحمراء، وتهامس أوراقها الخضراء.. اغمضت عينيّ.. لأختبيء خلف إشارات الاتهام المنبعثة من سعفها وخوصها، لتشهد عليّ وتدينني.. أو تتحفز لأخذ الثأر.. هرولت مطأطأ الرأس، وإندسست مسرعاً خلف الباب الخشبي لبيتنا، الذي يبعد خطوات. دلفت إلى غرفتي. ألقيت جسدي المهزوم، على السرير..

انتابت الشارع فوضى غير عادية، اختلطت فيها صيحات الجيران، بالصرخات الآتية من بيتها.. انسابت الشتائم والدعوات من ألسنة النساء.. اندفعت كالرصاص، تقتحم بلا إستئذان، ولا هوادة.. غرفتي القريبة من الشارع..

عبر الاثير الرديء، تناهت إلى مسامعي همهمات الرجال..

تخللها الصوت الجهوري لأبيها، يأمر ولده الاكبر أن يحضر الاسعاف.. اعترضت زوجته بعدما أدركت خطورة الحالة. أمرت ابنها الاصغر إبلاغ جارهم، الذي يمتلك سيارة، عساه يدفع عنهم بسباق الزمن، بشاعة زاحفة.. نحو محنتهم المباغتة..

تحلق الجيران مشدوهين حول باب بيتهم.. اشرأبت آذانهم.. جالت أبصارهم في النخيل الممتلىء بالحقيقة.. الخاوي من الدفاع.. حتى عن نفسه!!

ارتفعت أصواتهم، تضاربت آرائهم.. افراطا في الحماس للجار، والوقوف معه، وقت الازمات..

عرجت أمي إلى غرفتي. دفعت الباب. ألفتني مضطجعا أحمل كتابا بين يديّ..

قالت.. ماذا يحدث في الخارج؟ وما تلك الاصوات المرتفعة..؟

قلت بصعوبة بالغة.. لعله الشجار المعتاد.. بين الجيران..

بخلت أمي ان تفرط في وقتي.. وهي تعلم حساسية المرحلة النهائية لكلية التجارة، آثرت الذهاب بمفردها إلى بطن الشارع..

مرت نصف ساعة.. خلتها ساعات بأكملها.. أعدّ دقائقها الطويلة.. أحاول التحديق عبثا، في الكتاب الذي أحمله، لكن الدمار الاتي، اصابني بدوار شديد، مصحوب بغثيان وخفقان، أجبراني على التكوم معتلا أعلى السرير..

أيقنت اني ارتكبت جريمة، لا أعلم نتائجها. . أو خسائرها.

عادت أمي متجهمة. تدفعها أمواج الأحـزان، التي تكسرت أشلاء مبعثرة. . على شواطىء خيبتي. .

قالت بصوتهـا المخنـوق. . الـوردة الجميلـة. . ابنـة الجيران، ذات الثمانية عشر ربيعا، اصيبت بحجر مجهول، سقط على رأسهـا اثناء تنظيفها لفناء البيت. . نزفت من الدماء الكثير الكثير. .

لم أقو على سماع المزيد. . أو الخروج إلى الشـارع. . فقـط. . انسللت من أمامها، اتجهت صوب الحمّام الذي شعرت أنه الملاذ الوحيد، لأختلي بنفسي. .

أغلقت باب الاوجاع، تهاويت على مقعد التواليت. . لم أجد ما يخفف عني، سوى تلك الروائح الخبيثة، المنبعثة من المكان. .

اطلقتُ زفرة كئيبة. . توقفت عن الاسترسال. .

سـادت لحظـات صمت، قطعتهـا زوجتي، حين سـألتني. . هل كنت تحبها ياحبيبي؟

لم أجبها!

لكني عدت احدثها. .

في المساء تحلقت مع اسرتي حول المائدة. . راحوا يتناولون مع العشاء، الأخبار السيئة للوردة الذابلة. . فاضت قلوبهم وألسنتهم شفقة، لمرض «الحوَل» الذي أصاب عينها.

قالت شقيقتي. . لم أصدق بشاعة الاصابة، ولا هول الصدمة

التي انعكست رعبا في وجهها الملفوف بأربطة، لم يتحرر منها الا الانف.. وقد يلزمها ذلك المكوث أكثر من أسبوع في المستشفى.. فضلا عن المصاريف الكثيرة..

تنهدت أمي وقالت.. حسبي الله ونعم الوكيل.. انهم فقراء، مساكين.. لا يملكون مالا، لاستئصال اللوزتين الملتهبتين دوما.. لابنهم الصغير!!

قال أخي الاصغر، الذي انتهى من عشاءه.. متجها ناحية التلفاز لتشغيله.. رأيت والدها يبكي في الشارع..

انعكس الشعاع المنبعث من التلفاز، على وجهي.. غيبوبة كاملة، وشرود.. لم أنتبه الا حينما أطل المذيع بوجه بشوش، ليعلن في نبأ عاجل مقتضب.. أن جندي صهيوني اصيب إصابة بالغة.. بحجر انطلق من يد صبي صغير..

ابتلعت حطام كياني، ومرارة هزيمتي، في صمت موحش..

مرّت شهور قليلة.. قادتني مخنوقا، صوب هامش الحياة.. تنازعتني دروب سوداء، وليالي غير بيضاء، نزعت مني نشوتها.. وسرقت من زماني، الا البشاعة..

في لحظات المخاض الاخيرة، بعد أيام قليلة من تلك الشهور، وفي مكان فسيح.. هو ذات المكان.. تحت أشجار النخيل العملاقة.. الصامتة خلف شهادتها.. ونسائم الصيف

المحملة بالرطوبة.. اجتمع الجيران حول بيتي..

تعالت أصواتهم وصيحاتهم.. فيما اندفع الصبية الصغار لاسطح المنازل.. يرقبون..

تحلق الجميع، ومعهم وردة.. يغنون ويرقصون احتفالا بزواجنا السعيد... ايتها الزوجة الغالية..

- لكنك يا صديقي.. لم تجب على سؤالي.. لماذا طلقتها؟

- لم اطلقها.. في اليوم التالي، وجدت رسالة منها، بعدما آثرت الذهاب..

كتبت فيها..

زهرة صديقتي.. كم أخبرتني بحبها الجنوني.. لجارها..

الان.. علمت انك.. الذي احبته.. وانك الذي قتل قلبها.. وعينها..

لا آمن لحياتي معك!!

عيد أم !!

تحلّقوا حول أطراف مسائهم، هالهم دفئه.. احتضنوه بعشق.. بعدما غلّقوا الأبواب..

انساب هديلهم، يتهامسون.. يضعون لمسات حب، على هداياهم.. يلفّونها.. ينثرونها عطرا.. يخطّون عليها.. حروفَ مودة.. وأبياتَ عرفان..

لم يعجب الصغير أن يكون الاحتفال، في المساء الذي يسبق عيد الام..

قال بكلمات حنونة.. لنحتفل معها صباح الغد.. عندما يأتي الربيع على شفتيها.. يوقظنا شذاه.. وتفتحُ أوراقه..

لم يعره اخوته اهتماماً..

التفوا حولها. يقبّلونها.. يقدمون الهدايا..

انسحب بعناد بريء، إلى بعض جنبات البيت.. يرقبهم..

يحسس جيوبه..

انحصرت افكاره، في هدية عظيمة.. تفوق هداياهم.. يأتي بها غدا.. في يوم العيد، يقدم معها نشيد أمومة حالم!

إمتد المساء..

كانت تود الاحتفال مع أبيهم ـ على طريقتها. .

اومأت لهم بالانصراف. .

نظر في عينيها. . لاحت له من ضوئها، أزاهير الصبا. . والفتون. وسنوات غربة!

كانت عباءته. . وحديقته الغنّاء. .

ضمّها. .

لم يدر، كيف يهنئها. في عيدها. .؟

أدركت حيرته!

طلبت إليه. أن يقرأ كلمات مقدسات. . ترددها خلفه. .

فعل. .

في صباح العيد. . صدق الصغير وعده. .

أهداها دموعا غزيرة. . ملء قبرها. .

* * *

الفهرس

القصة	الصفحة

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القناة وسيناء ـ فرع ثقافة شمال سيناء

مدير فرع ثقافة شمال سيناء
محمد أحمد عبدالعظيم

رئيس مجلس الادارة
الشيخ محمد عايش عبيد

مدير التحرير
محمد عايش الشريف

إسرة التحرير
حسونة فتحي
عبدالقادر عيد
حسن غريب

مستشارو التحرير
د. أحمد عوين
د. عبدالقادر زيدان

رقم الإيداع I.S.B.N. 9060/2002